ISSN :2783-512X

مجله پژوهش در
آموزش زبان و ادبیات عرب

مجله پژوهش در آموزش زبان و ادبیات عرب

دوره چهارم، شماره پنجم، پاییز ۱۴۰۱

أصل اللغة مقاربة لسانية

حسين عودة هاشم النور[۱]

الملخص

تكلم علماء اللغة كثيرا عن موضوع نشأة اللغة وأصل اللغات وكل ادعى ان لغته الأصل مسد دين بذلك على ما ورد من نصوص في لكتب السماوية كل حسب ما يعتقد ويدير ، بل ذهبوا الى ابعد من ذلك فقالوا ان لغاتهم هي لغة اهل الجنة وانها هي التي تحدث بها ادم عليه السلام عادين ذلك مزية للغة التي يتكلم بها دون غيرها، وهذا ما وجدناه عند علماء العربية أيضا، شأنهم بذلك شأن علماء الأمم الأخرى، السريانين وغيره ، ويبدوا ان القول بالأصلية له دوافع عديدة ستنطرق لها لاحقا، عند ذكرنا جملة من اقوال المحدثين والقدامى من العرب وغيرهم، في مسألة النشأة، مقاربين تلك الآراء مقاربة لسانية حديثة مستندة على رأي جومسكي الذي طرحه في نظريته التحويلية التوليدية، فض لا عن بعض اراء علماء اللغة المحدثين، وكذلك التوقف عند مسألة الأصل والاختلاف بين اللغات من خلال مقاربتها قرآنيا، الذي نرى انه ينفي ان تكون اللغة العربية او غيرها هي اصل اللغات بل ان الاختلاف هو الاصل وهو الميزة لكل اللغات بل ان الله تعالى جعل اختلاف اللغات آية من آياته التي ابتدعها ابتداء وهي بمرتبة خلق السموات والأرض، كما سيتضح من خلال البحث، وكذلك سنثبت ان الاختلاف لا يعد مزية للغة، وانما هو وضع طبيعي، وهل نحن بحاجة الى وجود لغة واحدة، محاولين التوفيق بين ما جاء به علم اللغة الحديث وما جاء به القران الكريم ، وفي الختام ينتهي البحث بالنتائج سائلين الله تعالى التوفيق

كلمات مفتاحية: نشأة، أصل، اللغة، نظام، رموز، جومسكي

---

[۱] دكترای تخصصی، استاد، كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة / العراق، husain_alnoor@uobasrah.edu.iq

تاريخ ارسال ۱۴۰۱/۰۴/۱۲ تاريخ پذيرش ۱۴۰۱/۰۹/۰۱

المقدمة

تكلم علماء اللغة كثيرا عن موضوع نشأة اللغة وأصل اللغات وكل ادعى ان لغته الأصل مسند دين بذلك على ما ورد من نصوص في الكتب السماوية كل حسب ما يعتقد ويدين لذلك، كثيرا ما نسمع ونقرأ ان اصل اللغات هي العربية وهذا الرأي نسمعه من امة العرب متمثلة بعلماء اللغة والمفسرين وغيرهم ممن له شأن بذلك معطين بذلك ميزة للعربية بل وامتد الامر الى القول ان العربية هي لغة اهل الجنة وهي التي تكلم بها ادم عليه سلام (السيوطي،١٩٨٧ م، ٢٨/١ والفارابي ٢٠٠٣ م/٧١-٢ ، وقال السريانيون ان اصل اللغات هي السريانية وهكذا، أراد كل قوم ان يسند اصل اللغات للغته، عادها مزية لهذه اللغة، وبذلك يكونون هم افضل الاقوام لانهم الأصل، ويبدو ان القول بالأصلية له دوافع عديدة ستنطرق لها لاحقا عند ذكرنا جملة من اقوال المحدثين والقدامى من العرب وغيرهم في مسألة النشأة، مقاربين تلك الآراء مقاربة لسانية حديثة مستندة على رأي جومسكي الذي طرحه في نظريته التحويلية التوليدية، فضلا عن بعض اراء علماء اللغة المحدثين، وكذلك التوقف عند مسألة الأصل والاختلاف بين اللغات من خلال مقاربتها قرآنيا، الذي نرى انه ينفي ان تكون اللغة العربية او غيرها هي اصل اللغات بل ان الاختلاف هو الاصل وهو الميزة لكل اللغات اذ قال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ) (الروم ٢٢) فالله تعالى هنا جعل اختلاف اللغات آية من آياته التي ابتدعها ابتداء وهي بمرتبة خلق السموات والأرض، كما سيتضح من خلال البحث الذي سنبين من خلاله هل الاختلاف يعد مزية للغات او هو مأخذ يؤخذ عليها وهل نحن بحاجة الى القول بوجود لغة واحدة هي الأصل، واذا ما وجدت هل هذا يعد ميزة لها، محاولين التوفيق بين ما جاء به علم اللغة الحديث وما جاء به القران الكريم

اللغة

اهتم الانسان باللغة اهتماما بالغا فتوقف العلماء عند اللغة معرفين إياها قديما وحديثا، اذ عرفها ابن جني (حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) (ابن جني ٣٣). فاللغة اذا عند ابن جني هي أصوات وبهذه الأصوات يستطيع الانسان ان يعبر أي يتواصل مع غيره) وفي هذا التعريف إشارة دقيقة الى مكونات اللغة فبدأ بأصغر مكون وهو الصوت ومن الصوت تتألف المفردات ثم من الم ردات تتألف الجمل، وهذا التعريف أيضا فيه إشارة الى ان اللغة موضوعة من الانسان وليست توقيفية من الله كما ذهب غيره الى ذلك ويبدو ان ابن جني هنا يقصد للغة الإنسانية بوجه عام وليس لغة بعينها (نجم الدين الحاج عبد الصاف ٢٠٠٨،٤ ، موقع نادي الادب ttps://2u.pw/IZ0DV)، بدليل قوله باب القول على اصل اللغة الهام هي ام اصطلاح (ابن جني ١٤)، وبهذا يلتقي مع علماء اللغة المحدثين الذين ينادون بكونية اللغة، فضلا عن اشارته الى الوظيفة الاجتماعية للغة وان اللغة ظاهرة اجتماعية أي لا يمكن وجودها الا في أحضان المجتمع وهذا ما يمكن ان يفهم من قوله كل قوم اذ (القوم) تعني الجماعة (ابن جني ٣/١ ، ويلتقي مع ابن جني أيضا ابن خلدون الذي عرف اللغة انها عبارة المتكلّم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لسانيّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتهم) ابن خلدون،١٩٨٨ (١/ ٧٥٣) ويتضح من كلام ابن خلدون الجانب الاجتماعي من خلال توظيفه عبارة المتكلم) التي تشير الى

الجانب الوظيفي للغة فضلا عن تصريحه باصطلاحية اللغة (في كل امة بحسب اصطلاحهم) والذي يدل ايضا على ان اللغة ظا رة اجتماعية، اما المحدثون من الأوربيين فقد عرفوها بتعريفات متعددة منها، تعريف اللِّساني الأمريكي المعاصر إدوارد سابير فعرف اللغة: وسيلة إنسانية خالصة، وغير غريزية إطلاقًا؛ لتوصيل الأفكار والأفعال والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية (Sapir, Edward: language 1922. p-32) ويقول أنطوان ماييه: إن كلمة (اللغة) تعني كل جهاز كامل من وسائل التفاهم بالنطق المستعملة في مجموعة بعينها من بني الإنسان، بصرف النظر عن الكثرة العددية لهذه المجموعة البشرية أو قيمتها من الناحية الحضارية. وعرفها اللسانيّان لأمريكيَّان المعاصران: بلـــــوش وتريتـــجـــر »: أن اللغة نِظام اجتماعي من الرموز المنطوقة الاعتباطية تتعاون به مجموعة اجتماعية (جون لوينز، ١٩٨٨ ج/١/٦ ود. يحيى عبابنة والدكتور امنة الزعبي، ٢٠٠٥ م،. ، اما مارتينية فقد عرفها ب هي أداة للاتصال يستطيع بها الانسان في جماعة بشرية ان يحلل ويبرز تجاربه في وحدات كلامية ذات مظهر صوتي ومحتوى دلالي (نجم الدين الحاج،٢٠٠٨ م،٧)

وعرّف ميللر (Miller) اللغة بأنها: استعمال رموز صوتية مقطعية يعبّر بمقتضاها عن الفك » (miller 1950 (g.a) 0) وقال جون كارول (Jarooll john): إنها ذلك ا ظام المتشكل من الأصوات اللفظية الاتفاقية، وتتابعات هذه الأصوات التي تستخدم أو يمكن أن تستخدم في الاتصال المتبادل بين جماعة من الناس، والتي يمكنها أن تصنّف بشكل عام الأشياء، والأحداث والعمليات في البيئة الإنسانية . أما هيرلوك (Hurlock) فقد قال: إنها تشمل صور التعبير قاطبة ، وأن التعبير بأصوات مقطعية ما هو إلا أحد أشكال اللغ » (Hurlock(e.b):Clinical neurology) ivingstone LTD,edimburgh Cambridge60, 1966) ومن اهم التعريفات التي عرفت بها اللغة هو تعريف دي سوسير اذ عرفها بانها نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية في اذهان المجموعة اللغوية تحقق التواصل بينهم ويكتسبها الفرد سماعا من جماعته) واللغة أيضا في نظره تعد نظاما مجردا من العلامات، ويتأسس هذا النظام على العلاقات التي ترتبط بها العلامات لتشكل نظاما او بنية، وهي علاقات يشترك فيها كل أعضاء الجماعة اللغوية وتمثل المـ زون اللغوي له) والملاحظ ان دي سوسير يعد اللغة نظاما وعليه يجب النظر الى أجزاء ذلك النظام عند دراستها، وانه يعد اللغة ظاهرة اجتماعية تستخدم لتحقيق التواصل بين بني البشر، وقد ادرك دي سوسير ان اللغة نظاما له قواعد خاصة وهذا النظام يقوم على الاصطلاح بين الناس، كما عرف اللغة إدوارد سابير بانها وسيلة إنسانية خالصة وغير غريزية، لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة رموز تصدر اختياريا (جون ليونز،١٩٨٧ م، ج ١/ ، فاللغة عند سابير لا تنشأ من ردود أفعال تلقائية كالأصوات التي تصدر بشكل تلقائي عند الشعور بالفرح او لحزن او الألم، وعرفت أيضا انها وسيلة الفرد لتلبية حاجاته، وتنفيذ رغباته في المجتمع الذي يعيش فيه، وعن طريقه يمكنه التفاهم مع الاخرين والاطلاع على تجاربهم وعلى تجارب المجتمعات الأخرى ماضيا وحاضرا وهي وسيلة لنقل المعارف العصرية في مختلف المجالات وهي الوسيلة الوحيدة لنشأة المعرفة الإنسانية (الدكتور حاتم علو الطائي، مجلة دراسات تربوية، العدد ٦، نيسان،٢٠٠٩ ، ٩٥) ومن اهم تعريفات اللغة تعريف دوسوسير الذي يعد اب اللسانيات الحديثة والذي عرفها بأنها (نظام من الرموز الصوتية

الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، تحقِّق التواصلَ بينهم، ويكتسبها الفرد سماعًا من جماعته) (عبدالقادر قنيني، ٢٠٠٦ م، ص ٢٣) واللغة عنده ظاهرة عامة يتفرَّد بها الإنسان عن سائر الكائنات، فهي ملكة التعبير برموز ناطقة (حسني خاليد،٢٠١٨ م، ص ٥) ومن التعريفات المهمة أيضا تعريف نوم جومسكي الذي عرفها ان ا (مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجُمل، كلٌّ منها مُتناهٍ في الطول، ومكونةٍ مِن مجموعة من العناصر المتناهية) وسوف تكون مقاربتنا اللسانية في بيان اصل اللغات مبنية على فكر نوم جومسكي من خلال نظرته الى اللغة

نشأ اللغة بين القديم والحديث

إن البحث في أصل لغة من المسائل الفكرية الصعبة التي بقي معها فكرالعلماء يدور في حلقة مفرغة، بحيث انقسمت آراؤهم حول تحديد نشأة اللغة، وبرزت في ثلاثة اتجاهات: اتجاه يذهب إلى أن اللغة توقيفية طبيعية، واتجاه يذهب إلى أن اللغة عرفية اصطلاحية واتجاه ثالث يجمع بين الرأيين. وكان ـ ل العلماء اللغويين يأملون التوصل إلى تفسير شامل لهذه المسألة، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك وأضحت أبحاثهم لا تقدم لمسألة نشأة اللغة أي حل مقنع قد يفتح المجال أمام جهود الباحثين في هذا الميدان، بل إن المسألة ازدادت تعقيداً، بكثرة الآراء والنظريات التي نشأت حولها مما حدا بالجمعية اللغوية الفرنسية إلى إصدار قانون يمنع إلقاء محاضرات في موضوع نشأة اللغة (منقور عبد الجليل، ٢٠١١ م، ٦) وفي هذا المفصل سنتوقف عند من قال باصطلاحية اللغة او بتوقيفها وهو الأساس والمنطلق الذي انطلق منه الذين ينادون بأولية لسانهم وانه اصل ا غات وهذا النداء ينطلق من اساسين اما من منطلق ديني او منطلق قومي ونرى ا ن هذا المبحث هو نقطة الانطلاق في فهم الدافع الذي يؤسس عليه كل مدع بان لغته هي اصل اللغات وتنقسم الدراسة فيه على محورين

الأول: القائلون بتوقيفية اللغة

هذا الفريق يرى ان اللغة غريزة والهـ م وموهبة فطرية من عندالله تعالى علمها لادم عليه السلام، فعلَّمه النطق وأسماء الأشياء، ميز بها الانسان عن سائر المخلوقات وهذه النظرية قديمة نادى بها الفيلسوف اليوناني هيراكليت ٥٧٦ ق.م وقال بها العالم العربي أحمد بن فارس في ـ باب القول على لغة العرب أتوقيف، م اصطلاح: أقول: إن لغة العرب توقيف. ودليل ذلك قوله جلّ ثناؤه: ـ وعلّم آدم الأسماء كلـ »...» يفهم من قول ابن فارس أنه كان يعتقد أن لغة آدم عليه السلام كانت اللغة العربية، وأن هذه اللغة استمرت إلى أن نزل بها القرآن الكريم. ثم يستدرك قائلا: ـ ولعلّ ظانا يظنّ أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد. وليس الأمر كذا، بل وقّف الله جلّ وعزّ آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه، وانتشر من ذلك ما شاء الله، ثمّ علّم بعد آدم عليه السلام من عرب الأنبياء صلوات لله عليهم نبيا نبيا ما شاء أن يعلمه، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فآتاه الله جلّ وعزّ من ذلك ما لم يؤته أحدا قبله، تماما على ما أحسنه من اللغة المتقدمة. ثم قر الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت » (ابن فارس،١٩٩٣ م، ص ٦) فابن فارس يذهب الى ان اللغة العربية توقيفيه وانها من الله انزلها على ادم عليه السلام ثم تتابعت في نزولها على الأنبياء كما علل ذلك وهنا علينا

ان نتوقف قليلا في تعليله بعدم نزولها دفعة واحدة وانما نزلت بالتدريج على الأنبياء جميعهم، فابن فارس يتكلم عن العربية ومن المعلوم ان الانبياء لم يكن جميعهم يتكلم العربية، فبعضهم تكلم العبرية وبعضهم تكلم السريانية، ولم يتكلم بالعربية الا في زمن إسماعيل عليه السلام، فلو كانت كما يقول لكانت لغة الأنبياء واحدة بل لكانت اللغات الإنسانية جمعاء واحدة ولم يكن هنالك تعدد هذا التد دد الذي جعله الله تعالى اية من آياته فالله يثبت تعدد الالسن ونحن نلغيه فقال تعالى (ان في اختلاف الوانكم والسنتكم ايه) فجعل تعدد الالسن اية شأنه شأن تعدد الألوان فلا يمكن للإنسان ان يجعل اللسان واحدا وكذلك ان النص القرآني تحدث عن تعليم ادم الأسماء ولم يحدد لغة معينة ولفظ الاسم عام ينطبق على كل اللغات وهذا يتوافق مع قولنا بتعدد السن الأنبياء، نعم يمكن قبول قول ابن فارس اذا آمنا ان اللغة العربية والعبرية والسريانية وحسب المنهج المقارن انها تنتمي الى عائلة واحدة مما يمكننا من القول ان هذه اللغات كانت لغة واحد وقد تكون العربية، او العبرية، ذَكر الشَّيخُ المُفِيدُ (عن بَعضِهِم قَالَ: كانَ خَمسَةٌ منَ الأنبِيَاءِ سِريانيِّينَ: آدمُ وشِيثُ وإدريسُ ونُوحٌ وإبرَاهِيمُ (عليهم السلا م) وكانَ لِسَانُ آدمَ (عليه السلام) العَربِيةَ وهو لِسَانُ أهلِ الجنَّةِ، فلمَّا أنْ عَص ى ربَّه أبْدلَه بالجنَّةِ ونَعِيمِها الأرْضَ والحَرثَ وبلِسَانِ العَربِيةِ السِّريانيَّةَ، وقَالَ: كانَ خَمسَةٌ عِبرانيِّينَ: إسحَاقُ ويَعقُوبُ ومُوسَى ودَاودُ وعِيسَى (عليهم السلام) ومنَ العَربِ هُودٌ وصَالِحٌ وشُعَيبٌ وإسمَاعِيلُ ومُحمَّدٌ (عليهم السلا)). (الشيخ المفيد، ٢٠٠٩ م، ص ٦٤)

وكذلك نلاحظ ان ابن فارس استند الى النص القرآني في اثبات رأيه ومثله فعل العلماء اليهود والنصارى على ادلة نقلية مقتبسة من الكتب المقدسة فيستدلون بما ورد في التوراة من قول ((وجبل الرب الاله من الأرض كل حيوانات البرية، وكل طير السماء، فأحضرها الى ادم، ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به ادم ذات نفس حية، فهو اسمها، فسمى ادم جميع البهائم، وطيور السماء وجميع حيوانات البرية))(توفيق محمد شاهين،١٩٨٠ م، ص ١٠) وفي الإنجيل ذكر أن افِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ الله) والقول بالتوقيف لم ينفرد به ابن فارس من العرب وحسب بل نجده أيضا عند ابن جني فكان يعتقد أن اللغة العربية توقيفية ويعلل ذلك بقوله: « إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة، والإره ف، والرقة، ما يملك عليّ جانب الفكر، حتّى يكاد يطمح به أمام غَلْوة السحر... فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفا من الله سبحانه، وأنّها وحي » وأحيانا يقف موقف الحائر لا يدري أهي توقيفية أم اصطلاحية فيقول: (وإن خطر خاطر فيما بعد، يعلّق الكف بإحدى الجهتين، ويكفها عن صاحبتها، قلنا به، وبالله التوفيق) (ابن جني، ج ١/ ص ٤٠) وقال ابن عباس في تفسير الآية الكريمة (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (البقرة ٣١)) ي عدة روايات وردت عنه قال: علّمه أسماء ولده إنسانا إنسانا والدواب فقيل هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس. وقال في رواية أخرى: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودواب وسماء وأرض وسهل وبحر وخيل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. (ابن كثير، د.ت، ج ١ ص ٣٠) وللتخلص من اعتراض المعترضين على فكرة التوقيف بقولهم انه لو كانت اللغة توقيفية لكانت اللغات الإنسانية جميعها واحدة نجدهم ينقلون روايات تفسر الآية السابقة الذكر تفسيرا يخرجهم من هذا الاعتراض فروى ابن جني عن أبي الحسن الأخفش أنه فسّر الآية

السابقة بقوله: « إن الله سبحانه علم آدم أسماء جميع المخلوقات، بجميع اللغات: العربية، والفارسية، والسريانية والعبرانية، والرومية، وغير ذلك من سائر اللغات، فكان آدم وولده يتكلمون بها، ثم إنّ ولده تفرّقوا في الدنيا، وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات، فغلبت عليه، واضمحلّ عنه ما سواها، لبعد عهدهم بها » (الخصائص ج ١/ ص ٤٠) والى مثل هذا أشار أبو الحسن الأخفش نفسه وهو يتحدث عن لغة العرب فقال: « لابد أن يكون وقع في أول الأمر بعضها، ثم احتيج فيما بعد إلى الزيادة عليه، لحضور الداعي إليه، فزيد فيها شيئا فشيئا، إلا أنه على قياس ما كان سبق منها في حروفه، وتأليفه، وإعرابه المبين عن معانيه، لا يخالف الثاني الأول، ولا الثالث الثاني، كذلك متّصلا متتابع » وقد ذَكرَتْ بَعضُ المَرويَّاتِ بأنَّ تَعدُّدِ اللُّغَاتِ حَصلَ بعدَ طُوفَانِ نُوحٍ (عليه السلام)، حينَ أرادَ اللهُ (عزَّ وجلَّ) أنْ يَنتشِرَ لَّذينَ كَانُوا مع نُوحٍ بعدَ هُبوطِهِم للأرْضِ ويُعمِّرُوها ثَانِيةً فأنْطقَ كلَّ اثْنَينِ مِنهُما بلُغَةٍ تَختلِفُ عن الآخَرِينَ فاضْطرُّوا إلى التَّفرُّقِ والإنتِشَارِ في الأرْضِ. جاءَ عن ابنِ عبَّاسٍ قَولُه: « إنَّ نُوحاً (عليه السلام) لمَّا هَبطَ إلى سفَلِ الجُودِيِّ ابتَنَى قَريةً وسمَّاه » ثَمانِين «فأصبَحَ ذَاتَ يومٍ وقد تَبلْبَلَتْ ألْسنَتُهم على ثَمانِين لُغَةً إحدَاهَا اللِّسانُ العَربيُّ، وكانَ لا يَفهَمُ بَعضُهُم بَعض ». (القرطبي، ١٩٦٤ م، ٢: ٥٣)

استند القائلون بالتوقيف إلى ظاهر النص: فالأسم ء كلها معلَّمة من عند الله بالنص، وكذا الأفعال والحروف؛ لأن الأفعال والحروف أيضًا أسماء، لأن الاسم ما كان علامة، والتمييز (بين الأسماء والأفعال والحروف) من تصرف النحاة لا من اللغة، ولأن التكلم بالأسماء وحدها متعذر (د. لطفي عبد البديع،١٩٨٦ م، ص٠)

واستندوا أيضًا إلى استحالة أن يجري اصطلاحٌ بدون لغة مسبقة يتواصل بها المصطلحون يقول السيوطي في المزهر »: « لو كانت اللغات اصطلاحيةً لاحتيج في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة، ويعود إليه الكلام، ويلزم إما الدور أو التسلسل في الأوضاع، وهو محال، فلا بد من الانتهاء إلى التوقيف ( )جلال الدين السيوطي ١٩٨٧ م،/١٨١)

والمتأمل في هذا التفسير يجد انه لا يجيب على الاعتراض او التساؤل المطروح اذ لو كان الله علَّم ادم جميع اللغات لانتقلت معضمها ان لم تكن كلها الى بقاع الأرض جميعها ولذلك يمكننا القول انه ربما يكون المقصد من تعليم الأسماء لآدم عليه السلام هو تعليمه اصل اللغة أي القواعد الأساس في اللغة وترك له حذرية اختيار العناصر الاستبدالية كما سنبين لاحقا ومن القائلين بالأصل الإلهي للغة من الغربيين مستندا على ما جاء في الكتاب المقدس الفيلسوف الفرنسي روسو في رسالته التي ظهرت سنة ١٧٥٠ حيث يقول (لقد تكلم ادم وتكلم جيدا والذي علمه الكلام هوالله نفسه) (نايف معروف، ١٩٩٨ م، ص ١٨ و د. كمال بشر،١٩٦٢ م، ١١٦ ود. تيسير عبد الجبار الالوسي ود. ميساء احمد أبو شنب ٢٠١٥ م، ١ ، وذكر غليوم دي همبولدت Guillaume de Humboldt ٧٦٧ - ١٨٣٥ م) لذي قال عنه جورج مونين « هو واثق من قدرته على بلوغ النشأة الأولى، لا عن طريق البراهين اللغوية بل بواسطة الفرضيات الميتافيزيائية. فهو يردد بأن اللغة هبة ثمينة، أو هي ضرب من الملكية الفطرية، خاصة بالفكر الإنساني، أو هي أمر داخلي أو قوة داخلية، يتعذر سبر أغوار ها وهذا هو معنى عبارته: « إن الإنسان واللغة قد خلقا مـ » اما المفكر الفرنسي دي بونالد، فذكر ان ((اللغة هي الفكر نفسه، وليست شيئا آخر غيره. اللغة ليست مجموعة كلمات ترمز إلى أفكار، بل الكلمات هي الأفكار نفسها. إذا قلنا: نحن نفكر فكأننا قلنا: نحن نلغو. ولو أن كائنا سلب اللغة لسلب القدرة على التفكير

أيضا. وبناء على هذا يستحيل أن يكون الإنسان خالقا للغة. لسبب بسيط، هو أنه لكي يخلق الإنسان اللغة يجب أن يكون لديه فكرة واضحة عنها، فلا يعقل أن يخلق خالق شيئا لا يملك عنه أية فكرة، ولكي توجد هذه الفكرة عن اللغة عند الإنسان يجب أن يكون مفكرا أي أن يكون لاغيا، ومعنى هذا أنه لكي يخلق الإنسان اللغة يجب أن يكون مالكا للغة، وبعبارة أخرى: إن وجود اللغة شرط لخلق اللغة. أو إن اللغة واجب وجود لمنشأ اللغة ذاتها. ولما كان هذا مستحيلا على الإنسان فقد وجب أن تكون اللغة هبة من لدن الله)) (محمد الأنطاكي،١٩٦٩ م، ص ١٠) ان قوله بكون اللغة هبة من الله لا يدل على انها توقيفية بل من الممكن ان تكون كما قال جومسكي انها ملكة في عقل الانسان ويقصد هنا القواعد الكلية للغة وليس المفردات وأسماء المسميات والملكة او تجهيز الانسان بجهاز النطق هو هبة من الله فلولا وجود جهاز النطق بالشكل الذي هو عليه لما استطاع الانسان ان يكون ناطقا

ثانيا: أصحاب الاصطلاح

ذهب فريق اخر الى القول باصطلاحية اللغة وان القول بتوقيفيتها باطل محتجين بحجج

ويرد القائلون بالاصطلاح بأنَّ المقصود بقوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) أي أَقدَرَه عليها ومَكَّنَه من الكلام والتسمية، ويردون على أهل التوقيف بطريقتهم: « لو كانت اللغات توقيفية فذلك إما بأن يخلق الله تعالى علمًا ضروريًّا في العاقل أنه وضع الألفاظ لكذا، أو في غير العاقل، أو بألَّا يخلق علمًا ضروريًّا أصلًا، والأول باطل، وإلا لكان العقل عالمًا بالله بالضرورة؛ لأنه إذا كان عالمًا بالضرورة بكون الله وضع كذا لكذا لكان علمه بالله ضروريًّا ولو كان كذلك لبطل التكليف. والثاني باطل؛ لأن غير العاقل لا يمكنه إنهاء تمام هذه الألفاظ. والثالث باطل؛ لأن العلم بها إذا لم يكن ضروريا احتيج إلى توقيفٍ آخر، ولزم التسلسل » (السيوطي،١٩٨٧ م ١: ٨)

جاء في كتاب الحروف للفارابي: « فهكذا تَحدث أولًا حروف تلك الأمة وألفاظها الكائنة عن تلك الحروف، ويكون ذلك أولًا ممن اتفق منهم، فيتفق أن يستعمل الواحد منهم تصويتًا أو لفظة في الدلالة على شيء ما عندما يخاطب غيره فيحفظ السامع ذلك، فيستعمل السامع ذلك بعينه عندما يخاطب المنشئ الأول لتلك اللفظة، ويكون السامع الأول قد احتذى بذلك فيقع به، فيكونان قد اصطلحا وتواطآ على تلك اللفظة، فيخاطبان بها غيرهما إلى أن تشيع عند جماعة، ثم كلما حدث في ضمير إنسان منهم شيءٌ احتاج أن يفهمه غيره ممن يجاوره، اخترع تصويتًا فدل صاحبه عليه وسمعه منه فيحفظ كل واحد منهما ذلك وجعلاه تصويتًا دالًّا على ذلك الشيء، ولا يزال يحدث التصويتات واحدًا بعد آخر ممن اتفق من أهل ذلك البلد، إلى أن يحدث من يدبر أمرهم ويضع بالإحداث ما يحتاجون إليه من التصويتات للأمور الباقية التي لم يتفق لها عندهم تصويتات دالة عليها، فيكون هو واضع لسان تلك الأمة، فلا يزال منذ أول ذلك يدبر أمرهم إلى أن توضع الألفاظ لكل ما يحتاجون إليه في ضرورية أمرهم » (الفارابي،٢٠٠٣، ص١٣٧-١٣٨) وكان الإمام الغزالي من القائلين بالاصطلاح فذكر في ذلك « لعل الله ألهم آدم الحاجة إلى وضع الأسماء، فوضعها بتدبيره وفكره، ونسب ذلك إلى تعليم الله تعالى؛ لأنه الهادي والملهم. أو لعل الله علم آدم لغة، كان قد اصطلح عليها الجن، أو فريق من الملائكة. ولعل آدم تعلم اللغة ثم نسيها، أو لم يعلمها غيره، ثم اصطلح بعده أولاده على هذه اللغات

المعهود ». ومن فلاسفة اليونان الذين قالوا بالمواضعة (ديمقراطيس – فكان في طليعة الفلاسفة الذين تناولوا مفهوم اللغة، فهو يرى أنّ اللغة من قبيل المواضعة بين بني البشر بمعنى أنّهم اتّفقوا على وضعها فاعتبر منشأ اللغة عملية تو طؤية، لأن الاسم الواحد ذاته كثيرا ما يقبل عدة مسميات، ولأن الشيء الواحد كثيرا ما يقبل عدة أسماء أو قد يتبدل اسمه ولا يتبدل هو، وتوسعا بهذا المبدأ انتهى ديمقريطس إلى القول بأن الأسماء تعطى للأشياء من لدن الإنسان لا من لدن قوة إلهية ». (مها عيسى العبد الله، مجلة أبحاث البصرة، لسنة ٢٠١٤، مج ٣٩ / العدد ٢ ص ٥٧) أما أرسطو ٢٢ ٨٤) ق.م) الذي تتلمذ على يد أفلاطون، فهو الآخر تعرض للغة ومعناها، إذ أخذ مفهوم اللغة عند أرسطو حدّاً أبعد من حدود من سبقه أو عاصره من فلاسفة اليونان، فتعريفه للغة كان أقرب للواقع أكثر من ﺧ ره، فهو يرى أنّ اللغة التي ينطق بها الإنسان ما هي إلا دلائل تشير إلى ما في داخله من عواطف وأفكار وانفعالات نفسيّة، وهذه هي المولّدات الداخليّة للغة وهي نتاج داخليّ أيضاً، كذلك هي تمثيل للمقدرة العقليّة لدى الإنسان. فألفاظ اللغة عند أرسطو ليست متماثلة عند ـ ميع أبناء الجنس البشريّ، وإنّما يعتريها الاختلاف، وقصده في ذلك أصوات الكلام واختلافها بين لغة وأخرى من لغات الأمم. أما المعاني المكنونة في النفس فهي الانفعالات والعواطف والأفكار، وهي واحدة عند جميع البشر ومتماثلة تماثلاً لا اختلاف فيه. فبعض القائلين بالاصـ لاح لا يستبعدون أن تكون اللغة من وضع مخلوقات ذكية سابقة على الإنسان. يقول الغزالي في المنخول إن ،قوله تعالى: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ظاهر في كونه توقيفًا وليس بقاطع، ويحتمل كونها مصطلحًا عليها من خلق الله تعالى قبل آد »

وبعض القائلين بالتوقيف يرون أن اللغات كلها تم صنعها في بدء الخليقة (السيوطي،١٩٨٧ م، ١: ٣ ، وبعضهم يرى أن التوقيف لم يقع في الابتداء إلا على لغةٍ واحدة، وأن اللغات الأخرى ثم التوقيف عليها بعد الطوفان في أولاد نوح حين تفرقوا في أقطار الأرض (السيوطي،١٩٨٧ م ١: ١ ، ويرى فريقٌ ثالث أنه يجوز أن تكون اللغات التي تلت اللغة التوقيفية الأولى جاءت اصطلاحًا أو توقيفًا (السيوطي،١٩٨٧ م ١: ١ ، ويرى آخرون أن اللغة الأولى فقط هي التوقيفية (وهي العربية — اللغة التي نزل بها آدم من الجنة)، بينما نشأت اللغات الأخرى تحريفًا (السيوطي،١٩٨٧ م ١: ١) ،من التوقيفيين مَن ذهب إلى أن اللغة العربية ظهرت أيضًا في مرحلة متأخرة عندما حشر الله الخلائق إلى بابل، جاء في المزه »: «... لما حشر الله الخلائق إلى بابل بعث إليهم ريحًا، فاجتمعوا ينظرون لماذا حشروا له، فنادى منادٍ: من جعل المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره ، اقتصد البيت الحرام بوجهه فله كلام أهل السماء، فقام يعرب بن قحطان فقيل له: يا يعرب بن قحطان بن هود، أنت هو؟ فكان أول من تكلم بالعربية المبين » (السيوطي،١٩٨٧ م ١: ١ . ومنهم من ذهب إلى أن العربية ظهرت أول مرة بعد قدوم سيدنا إسماعيل عليه السلام إلى مكة واستقر اره بها، وأن أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه هو إسماعيل عليه السلام (السيوطي،١٩٨٧ م ١: ١)

ويبدو أيضًا أن البناء الفكري المذهبي لعالم اللغة كان يملي عليه الرأي في أصل اللغة ويعمل على توجيهه، وأن تفكيره في هذا الشأن لم يكن علميًّا خالصًا، أو فلسفيًّا مـ ضًا، فثَمَّ مذهبٌ كلامي كلي عليه أن يخضع له ويضمن اتساقه. يقول د. إبراهيم أنيس: إن الخلاف بين علماء العرب ظهر واضحًا في منتصف القرن الرابع الهجري وما بعده، فرأيناهم فريقين: أولًا: أهل التقاليد من المحافظين الذين اعتمدوا على النصوص من السنيين

وأضرابهم، وهؤلاء كانوا ينادون بأن اللغة توقيفية وأن لا بد للإنسان في نشأة ألفاظها أو كلماتها، وزعيم هؤلاء ابن فارس في كتابه الصاحبي ، والفريق الثاني من علماء اللغة الذين نادوا بأن اللغة اصطلاحية، وكان معظمهم من المعتزلة الذين استمدوا أدلتهم من المنطق العقلي، وفسّروا ما ورد من نصوص بحيث تلائم اتجاههم وتنسجم مع منطقهم » (د. إبراهيم أنيس، ١٩٩١ م، ص١٧-٨)

وبعد هذا يتضح لنا ان مسألة نشأة اللغة لا يوجد لها أي أساس علمي ملموس وفي ذلك يقول ماريو باي (فيما يخص نشأة اللغة وطبيعتها، لدينا مصادر تعتمد على الاساطير والحديث المنقول، والمناقشات الفلسفية، ولكن تنقصها الحقائق العلمية في هذا الصدد) (هاشم اشعري، ٢٠١٧ العدد /١، ص ١٠٠ و ود. هادي نعمان الهيتي، ١٩٨٨ م، ص ٤١) وانها لا تفضي الى نتائج حتمية وانما تنتهي الى تفسير خرافي واسطوري واحيانا ميتافيزيقي لاهوتي (د. احمد يوسف، ١٩٩٨ م، /ج ٢٨ صر ٦٤) وهذا ما دفع علماء اللغة المحدثون بالتوقف عن دراستها وترك هذه الموضوعات سواء كانت توقيفية ام اصطلاحية وكذلك نستطيع ان نستشف من اقوال القائلين بالتوقيف انهم يريدون جعل لغتهم هي اللغة الأصل وان الكمال لها وبالتالي فهي مقدسة لان الرب اختارها فالعرب يقولون « العربية خير اللغات » واليوناني يقول « اليونانية أفضل اللغات » يقول جالينوس ... « العبرية لغة الرب، والملائكة لا يفهمون غير العبري » يقول اليهود ... « السريانية لغة الحساب في الآخرة ولغة أهل الجنة » يقول السريان ... « الفارسية لغة الجن » يقول الفرس ... « أنا الحق ، كل ما سواي الباطل » وهذا ما التفت اليه ابن حزم القائل في « الإحكام في أصول الأحكام »: وقد توهم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات، وهذا لا معنى له؛ وقد قال تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) (إبراهيم: ٤) ، وقال: (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (الدخان: ٥٨) ، فأخبر تعالى أنه لم ينزل القرآن بلغة العرب إلا ليفهم ذلك قومه عليه السلام لا لغير ذلك، وقد غلط في ذلك جالينوس فقال: إن لغة اليونانيين أفضل اللغات؛ لأن سائر اللغات إنما هي تشبه إما نباح الكلاب وإما نقيق الضفادع. قال علي: وهذا جهلٌ شديد؛ لأن كل سامع لغةٍ ليست لغته ولا يفهمها فهي عنده في النصاب الذي ذكر جالينوس، ولا فرق ... وقد قال قومه: العربية أفضل اللغات لأن بها نزل كلام الله تعالى، قال علي: وهذا لا معنى له؛ لأن الله عز وجل قد أخبرنا أنه لم يرسل رسولًا إلا بلسان قومه، وقال تعالى: (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) (فاطر: ٢٤) ، وقال تعالى وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (الشعراء: ١٩٦) ، فبكل لغة قد نزل كلام الله ووحيه، وقد أنزل التوراة والإنجيل والزبور وكلم موسى عليه السلام بالعبرانية، وأنزل الصحف على إبراهيم عليه السلام بالسريانية، فتساوت اللغات في هذا تساويًا واحدًا » (ابن حزم،١٩٨٣، ٤/١) وعليه يمكن القول ان لا مزية لاي لغة تزل بها الكتاب المقدس والكتب السماوية نزلت بألسن متعددة وحسب لسان قوم النبي ومن ذلك يتبن ان الدافع الخفي لنزعة المقارنة بين اللغات والثقافات في مرحلتها الجنينية يعود الى شعور بعض الجماعات البشرية او العرقية بنبل اصلها وشرف عرقها، فتعتقد هذه الجماعة او تلك وبدافع ديني او عرقي ان لغتها هي الأصل للغات جميعها كما فعل اليهود الذين يعدون العبرية ام اللغات البشرية جميعا، لأنها لغة مقدسة في اعتقادهم، ومثل هذا الاعتقاد نجده أيضا عند الكلتيين الذين كانوا يدافعون عن لغتهم بدافع عرقي ويعتقدون انها ام اللغات الاوربية (د. احمد حساني ٢٠١٣، ٣ ، وكذلك نجد هذا التوجه عند العرب القائلين ان اللغة العربية اصل اللغات واذا لغة اهل الجنة

والملائكة كما ذكرنا سابقا جاعلينها لغة مقدسة لان القران نزل بها، وهذا لا يمت الى الواقع بصلة بل ويخالف المنطق القراني الذي اكد على اختلاف الالسن

رأي في اصل اللغات على وفق اللسانيات الحديثة (مدرسة جومسكي)

علم اللسانيات اذن من العلوم الحديثة التي عملت على دراسة اللغة دراسة علمية جاعلا اللغة ظاهرة اجتماعية . تلك الظواهر الاجتماعية ليست صناعة فرد بعينه أو أفراد بعينهم، ولا عمل جيل بذاته، ولا توجيه فيها لعقل الفرد، أو الإرادة الفردية، ولا تأثير له عليها، فلا هو يستطيع دفعها إذا أراد، ولا هو يستطيع صدها إذا شاء، وما هو ولا قومه مجتمعين بمستطيعين أن يقدموا من أمرها شيئًا أو يؤخروه، فلا هم يتدخلون تدخلًا إراديًّا في وجودها، ولا هم يسهمون في تنظيمها، ولا هم يختطون طريقها، وكل ما تتعرض له وما يواجهها من دوافع أو موانع، وما ينالها من تغير وتحول، أو توسع وتبسط، أو توقف وتعطل، لا يكون شيء منه إلا من نتائج العقل الجمعي، ومقتضيات الوجود التجمعي، وهو ما لا ينفي فيه منطق الأفراد ولا يثبت، ولا تعطي فيه إرادتهم ولا تمنع، ولن يغيروا أبدًا من واقعٍ تحتمه القوانين الاجتماعية الثابتة المطردة » (د، أمين الخولي،١٩٨٧، ص٤٠–٤٤) فاللغة في كل مجتمع نظامٌ عام يشترك الأفراد في اتباعه، ويتخذونه أساسًا للتعبير عما يجول بخواطرهم، وفي تفاهمهم بعضهم مع بعض. واللغة ليست من الأمور التي يصنعها فردٌ معين أو أفراد معينون، وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع، وتنبعث عن الحياة الجمعية، وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر، وتبادل للأفكار، وكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نظامًا لغويًّا يسير عليه مجتمعه فيتلقاه عنه تلقيا بطريق التعليم والمحاكاة، كما يتلقى سائر النظم الاجتماعية الأخرى، ويصب أصواته في قوالبه، ويحتذيه في تفاهمه وتعبير » (د. علي عبد الواحد وافي، ١٩٥١، ص) . واللغة من الأمور التي يرى كل فرد نفسه مضطرًّا إلى الخضوع لما ترسمه، وكل خروج على نظامها، ولو كان عن خطأ، أو جهل، يلقى من المجتمع مقاومة تكفل رد الأمور إلى نصابها الصحيح، وتأخذ المخالف ببعض أنواع الجزا ... وإذا حاول فرد أن يخرج كل لخروج على النظام اللغوي بأن يخترع لنفسه لغة يتفاهم بها فإن عمله هذا يصبح ضربًا من ضروب العبث العقيم؛ إذ لن يجد من يفهم حديثه، ولن يستطيع إلى نشر مخترعه هذا سبيلً ». (د. علي عبد الواحد وافي، ١٩٥١، ص٤-٥)

فجاء . علم اللغ » Linguistics الحديث لدراسة هذه الظاهرة التي خص الله بها الانسان عن سائر خلقة وجعلها أداة للتواصل ونقل الأفكار والمعارف ولذلك فهو يعد من العلوم الإنسانية الدقيقة التي بلغت في أدائها ونتائجها مستوًى من الدقة العلمية يقترب من مستوى العلوم الطبيعية، وصارت مثالًا يحتذى لبقية العلوم الإنسانية. وقد ثبت هذا العلم الحديث على نحوٍ حاسم صلب . أن اللغة ظاهرة اجتماعية يتميز بها كل مجتمعٍ إنساني، وهي ظاهرةٌ إنسانية لا علاقة لها بالآلهة، ولم تهبط من علٍ، بل نشأت من أسفل، وتطورت بتطور الإنسان ذاته، ونمت بنمو حضارة ، (أنيس فريحة، ١٩٥٥، ص٢٠) فإذا نحن سلطنا هذا الضوء العلمي الكاشف على آراء القدماء . فسنتبين سريعًا وفي وضوح أن ما زعمه الزاعمون من عمل الأفراد، أو الكثرة، في تكوينها ووضعها لا يؤيده شيء من طبيعة اللغ ، وسيتبين لنا كذلك بأسرع وأوضح مما سبق أن إدراك هذا الفرد الممتاز، أو الكثرة الحكيمة، لمستقبل اللغة و حتياطهم لآخر أمره ... كل ذلك لا تحتمل تصديقَه طبيعةُ

اللغة على ما عرفها البحث الاجتماعي، فليس لوضع الواضع الأول، بحكمته وحسن تأتٍّ — أو بغير ذلا — وجودٌ ولا سند ... لأن اللغة ليست إلا نشاطًا اجتماعيًّا، لا اجتهادًا عقليًّا وتدبيرًا منطقيًّ ... وإذا ما استق ت هذه الحقيقة من خصائص اللغة بما هي نظام اجتماعي، اتضح لنا أن اللغات الصناعية المبنية على خطة منطقية قد وضعت مقدمًا غير ممكنة الوقوع إلا إذا كانت لغات خاصة: لغات فنية (تكنيكية) ولوائح إعلانات، ففي هذه الحال يكفي الاتفاق بين الأشخاص المعدودين الذين يستعملو ها للاحتفاظ بها كما خلقت دون تغيير » (أمين الخولي،١٩٨٧ ص٤٤-٥)

والمتأمل فيما تقدم من دراسات لسانية يجد ان هناك فرقا كبيرا بين الإطار المعرفي الذي كان يوجه عقل القدامى ويرشد بحثهم وبين النموذج المعرفي الحديث وفي بحثنا هذا سنحاول بيان رأينا في اصل اللغات م تمدين احد المناهج اللسانية الحديثة مناقشين الاقدمين من خلاله وهو المنهج التحويلي التوليدي من خلال رأي جومسكي بمسألة اكتساب اللغة وهو مبدأ القدرة اللغوية او الملكة اللغوية التي تطرق له من خلال نظريته النحو التوليدي التحويلي محاولين من خلال هذا الرأي إيجاد ر أي يجمع الآراء السابقة أي يجمع بين من قال بالتوقيف والاصطلاح بعيدا عن الاسقاطات الفردية على الآراء وانعكاسات الأفكار الاعتقادية لصاحب الرأي وبهذا نخرج من دائرة عدم علمية هذه الآراء الى علميتها من خلال استنادها على نظرية من نظريات علم اللغة الحديث ذكر جومسكي في مسألة اكتساب اللغة مبدأ الملكة والتأدية وقال ان الملكة هي المعرفة الواعية التي يكتسبها المتكلم منذ طفولته وتبقى راسخة في ذهنه فتمكنه فيما بعد من انتاج العدد غير المحدود من الجمل الجديدة التي لم يسمعها من قبل، انتاجا ابتكاريا، لا مجرد تقليد ساكن، ثم تمييز بين ما هو سليم نحوي وبين غيره (ميشال زكريا ١٩٨٣/ ص ٧ وشفيقة العلوي،٢٠٠٤، ص ٤)

وهذه الملكة تتجسد في الواقع اللساني المادي من خلال المظهر الكلامي المعروف بالتأدية فالملكة هي معرفة المتكلم السامع للغته وأما التأدية فهي الاستعمال الفعال للغة في مواقف م دية وواضحة وان نحو أي لغة ينبغي ان يكون وصفا للملكة الذاتية الاصلية للمتكلم السامع المثالي (شفيقة العلوي، ٢٠٠٤، ص ٤) وعلى هذا فان الملكة او القدرة اللغوية عامة مشتركة ثابتة بين أبناء المجتمع اللغوي الواحد المتجانس ما داموا يملكون المعرفة نفسها بنظام اللغة وعليه فان جومسكي يذهب الى ان الانسان لا يكتسب لغته من خلال المحاكاة للأخرين والسماع منهم وانما يملك في ذهنه القواعد الأساس لهذه اللغة ويعتقد ان هنالك قواعد عامة تتحكم باللغة الإنسانية جمعاء تخضع لها جميع اللغات الإنسانية وهذه القواعد موجودة في ذهن الانسان منذ الولادة وهذا الرأي يقترب من قول القائل ان اللغة الهام من الله تعالى الا ان الفارق بينهما ان الذين يقولون بالإلهام يجعلونها للألفاظ وهذا ما جعل المعترضين يحتجون عليهم بانها لو كانت من الله لكانت واحدة ولو جعلوها للقواعد المتحكمة باللغة لكانت اقرب الى لصحة، وهذا ما فعله جومسكي عندما أراد إيجاد نظرية كونية للغة فوجد النظرية التحويلية التوليدية وبهذا يمكننا القول ان المقصود من كون اللغة الهاما او توقيفا من الله انه اودع أسسها في ذهن الانسان وجعلها غريزة كالغرائز الأخرى فالإنسان اودع الجهاز النطقي واعطي نظام وترك له اختيار المفردات بحسب بيئته وحاجاته وبهذا نستطيع القول انها توقيفية من جانب الأسس العامة لها واصطلاحية من جانب اختيار الالفاظ لتسمية الأشياء بها او اطلاقها على الأفعال ولذلك نجد ان اللغات

الإنسانية جمعاء لا تخرج من التقسيم الثلاثي للكلام وهو ا سم والفعل والحرف وهو التقسيم نفسه الذي جاء به امير المؤمنين علي عليه السلام واخبر به أبا الأسود الدؤلي وهو التقسيم نفسه عند الهنود وعند اليونان وكذلك نجد ان الفعل في جميع اللغات يحتاج الى فاعل وهكذا فهذه القواعد واحدة في اللغات الإنسانية جمعاء وهذا التوحد يدفعنا الى القول انها ليست من الانسان وانما هي من القواعد الضرورية التي اودعها الله في عقل الانسان ولذلك نجد النص القرآني قال (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ) فهو لم يقل لاختلاف لغاتكم لكون اللغة تتعلق بالنظام القواعدي أولا اما اللسان يتعلق بما يظهر اختيار الالفاظ فاختلاف الالسن هو غاية مقصودة من الله تعالى اما طبيعة وشكل الالفاظ فترك للإنسان أي ان طريقة تركيب الالفاظ من أصوات ثم تقسيمها الى اسم وفعل وحرف هو واحد عند الجميع اما العناصر الاستبدالية ان صح التعبير فتركت للإنسان وبد ك يحصل اختلاف الالسن وعليه يمكن القول ان لايوجد تفاضل باللغات ولا عبرة في اختيار لغة ما لتكون ناقلة لنص سماوي كالتوراة والانجيل والقران وانما هي مجرد وسيلة لنقل الرسالة السماو ة الى الامة التي أرسلت لها ويجب ان تكون بلسانها ولذلك ذكر الله تعالى (ما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) فالله تعالى جعل اختلاف اللغات اية من اياته التي ابتدعها ابتداء وهي بمرتبة خلق السموات والأرض فهل يحق لنا ان نقول ان الأرض هي الأصل والسماء فرع وبذلك تك ن الأرض افضل من السماء الجواب سيكون بالنفي قطعا وكذلك جعل اختلاف اللغات بمنزلة اختلاف الألوان فلا يحق لنا التفاخر باللون الأبيض على من خلق باللون الأسود بل كلاهما من خلق الله وعليه فان كل ما قيل هو من باب التوجه القومي للأمم وهو تعزيز قومية وتقويتها على حـ اب القوميات الأخرى لان جميع القوميات هي من خلق الله فلا تفاضل باللغات بين الأمم الإنسانية لان الله اودع الجهاز النطقي للأمم الإنسانية وترك لها حرية اختيار العناصر اللغوية وبهذا نكون قد قاربنا الآراء التي بنيت على دليل نقلي من الكتب المقدسة مقاربة لغوية حد ثة قائمة على نظرية من اهم النظريات اللسانية تؤدي بنا الى خلاصة مفاده ان اللغة الإنسانية واحدة من حيث المقدرة اللغوية العقلية أي من حيث البنى العميقة الموجودة في ذهن المتكلم ومختلفة من حيث اختيارشكل الالفاظ الدالة على معانيها وتلك الالفاظ تترك للإنسان كل حـ ب حاجته وبيئته

الخاتمة

- اللغة ظاهرة اجتماعية أي لا يمكن وجودها الا في أحضان المجتمع فاللغة في كل مجتمع نظامٌ عام يشترك الأفراد في اتباعه، ويتخذونه أساسًا للتعبير عما يجول بخواطرهم، وفي تفاهمهم بعضهم مع بعض. واللغة ليست من الأمور التي يصنعها فردٌ معين أو أفراد معينون، وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع، وتنبعث عن الحياة الجمعية، وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر، وتبادل للأفكار، وكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نظامًا لغويًّا يسير عليه مجتمعه فيتلقاه عنه تلقيًا بطريق التعليم والمحاكاة، كما يتلقى سـ ر النظم الاجتماعية الأخرى، ويصب أصواته في قوالبه، ويحتذيه في تفاهمه وتعبيره
- ان الاختلاف هو الاصل وهو الميزة لكل اللغات وليس الاتفاق على وجود لغة واحدة
- أن البناء الفكري والعقائدي لعالم اللغة كان يملي عليه الرأي في أصل اللغة ويعمل على توجيهه، وأن تفكيره في ، ذا الشأن لم يكن علميًّا خالصًا، أو فلسفيًّا محضًا، فثَمَّ مذهبٌ كلامي كلي عليه أن يخضع له ويضمن اتساقه
- ان مسألة نشأة اللغة لا يوجد لها أي أساس علمي ملموس لاعتمادها مصادر تعتمد على الاساطير والحديث المنقول، والمناقشات الفلسفية، وتنقصها الحقائق العلمية في ه ا الصدد
- ان مسألة نزول النصوص المقدسة بلغة ما كنزول القران الكريم باللغة العربية او نزول التوراة بالعبرية لا يعد مزية لتلك اللغة وانما هو مر طبيعي، فالله تعالى يخاطب الناس بالسنتهم وبلغتهم التي يفهمونها حتي يبلغ ما يريد ولذك قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وهذا لا يتعلق بالعربية او غيرها وانما بكل الالسن
- المتأمل فيما تقدم من دراسات لسانية يجد ان هناك فرقا كبيرا بين الإطار المعرفي الذي كان يوجه عقل القدامى ويرشد بحثهم وبين النموذج المعرفي الحديث
- وبناء على مبدأ القدرة اللغوية او الملكة التي قال بها جومسكي يمكننا القول ان المقصود من كون اللغة الهاما او توقيفا من الله انه اودع أسسها في ذهن الانسان وجعلها غريزة كالغرائز الأخرى فالإنسان اودع الجهاز النطقي واعطي النظام وترك له اختيار المفردات بحسب بيئته وحاجاته وبهذا نستطيع القول انها توقيفية من جانب ا ُسس العامة لها واصطلاحية من جانب اختيار الالفاظ لتسمية الأشياء بها او اطلاقها على الأفعال ولذلك نجد ان اللغات الإنسانية جمعاء لا تخرج من التقسيم الثلاثي للكلام وهو الاسم والفعل والحرف وهو التقسيم نفسه الذي جاء به امير المؤمنين علي عليه السلام واخبر به أبا لأسود الدؤلي وهو التقسيم نفسه عند الهنود وعند اليونان وكذلك نجد ان الفعل في جميع اللغات يحتاج الى فاعل وهكذا فهذه القواعد واحدة في اللغات الإنسانية جمعاء وهذا التوحد يدفعنا الى القول انها ليست من الانسان وانما هي من القواعد الضرورية التي اودعها الله في عقل الانسان وهي التي سماها جومسكي بالقدرة اللغوية او الملكة اللغوية

المصادر

- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩١
- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى ٥٦ هـ) الإحكام في أصول الأحكام المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، لابن حزم،
، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى ٧٧٤ هـ) تفسير القران العظيم المسمى بتفسير ابن كثير، طبعة دار الفكر بدون تاريخ، ج صر ٧٣
- بو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهر الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ – ٩٦٤ .
- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى ٩٢' هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية الع مة للكتاب، الطبعا ٤
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي تحقيق الدكتور عمر فاروق الطبّاع. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مكتبة المعارف، بيروت، ط ١ سنا ١٤١٤ ه - ١٩٩٣ م
- ابي نصر الفارابي، كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت ١٩٧٠
- ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر بيروت
- ابي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي ت ٣٥٠ ه، معجم ديوان الادب، تحقيق: د. احمد مختار عمر / مراجعة الدكتور إبراهيم انيس / طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر / القاهرة ٢٠٠٣ م
- احمد حساني، الطبعة ٢ ٠١٣ ، مباحث في اللسانيات، سلسلة الكتاب الجامعي، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الامارات
- احمد يوسف، فلسفة اللغة دراسة في النشأة والأصول، مجلة علامات صر ٢٦٤ ج ٨' ، د ' ، صفر ٤١٩ ، بونيا ١٩٩٨
- أمين الخولي، مشكلات حياتنا اللغوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧
- أنيس فريحة، نحو عربيةٍ ميسرة، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٥
- توفيق محمد شاهين، عوامل تنمية اللغة العربية، مكتبة وهبة، القاهر ١٩٨٠
- تيسير عبد الجبار الالوسي ود. ميساء احمد أبو شنب، تكنلوجيا تعلم اللغة العربية، مركز الكتاب الاكاديمي

- جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، المكتبة العصرية، صيدا ٩٨٧ .
- جون لوينز، ج / ترجمة الدكتور مصطفى التوني، دار النهضة العربية، مصر ١٩٨٧ ط ١
- حاتم علو الطائي، نشأة اللغة وأهميتها، مجلة دراسات ربوية ٩٥ ، العدد ، نيسان ٢٠٠٩
- حسني خاليد، مدخل الى اللسانيات المعاصرة، مطبعة انفوا برانت، الليدو، فاس
- شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشروالتوزيع ط ، ٢٠٠٤
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحض رمي الإشبيلي (المتوفى: ٠٨ هـ) تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المحقق: خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- عبدالقادر قنيني، محاضرات في علم اللسان العام، دار نشر إفريقيا شرق ٢٠٠٦
- عبد المجيد الطيب عمر، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، دراسة تقابلية، مركز البحث العلمي واحياء التراث، ط ٢ ١٤٣٧ هـ
- علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، الناشر دار احياء الكتب العربية ١٩٥١
- كمال بشر، قضايا لغوية، دار الطباعة لقوميا ١٩٦٢
- لطفي عبد البديع، النادي الأدبي الثقافي، عبقرية العربية، جدة، ١٩٨٦
- مجموعة مؤلفين، اهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس ١٩٨٦
- مجيد الماشطة، ط ، شظايا لسانية، مطبعة السلام، البصر ٢٠٠٧
- محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه للغة، دار الشروق للنشر، بيروت، لبنان
- محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالمفيد، الإختِصَاصُ، تحقيق علي اكبر غفاري، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات
- محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، اللغة - في: دفاتر فلسفية، دار توبقال للنشر، المغرب، ١٩٩٨
- م قور عبد الجليل، منشورات اتحاد علم الدلالة اصوله ومباحثه في التراث العربي، الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠١
- مها عيسى العبد الله، فلسفة اللغة عند افلاطون، مجلة أبحاث البصر ٥٧ ، مج ٢٩ /العدد ٢ لسنة ٢٠١٤
- ميشال زكريا، الالسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية - الجملة البسيطة - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ط ١٩٨٣
- ميسشال زكريا، ط ، مباحث في النظرية الالسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٥

- نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، لبنان ۱۹۹۸
- نجم الدين الحاج عبد الصافـ ، بين اللغويين العرب واللغويين الغرب حول مفهوم اللغة والكلام، موقع نادي الادب https://2u.pw/IZ0DV
- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الاطفال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ۱۹۸۸
- هاشم اشعري، جامعة كياهي الحاج عبد الد يم موجوكرطا، نظرية نشأة اللغة وتفرعها في التراث العربي، مجلة التدريس مج /العدد يونيو ۰۱۷ صر ۱۰۰
- يحيى عبابنة والدكتور امنة الزعبي، علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات: ۹ دار الكتاب الثقافي، اربد ۲۰۰۵
- Sapir, Edward: language, An Introduction to the study of speech, New York, 1922. p-32 https://2u.pw/lH10G نقلا عن منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، دراسة تقابلية عبد المجيد الطيب عمر، مركز البحث العلمي واحياء التراث، ط ۲ ۱٤۳۷ هـ
- Miller (g.a):language and communication, megraw, hill book coine USA(1950) قلا عن موقع تربقافة تربية وثقافة https://2u.pw/WfR0s
- Carroll,john: The study of language, Harvard university press, Cambridge, 1966 نقلا عن موقع تربقافة تربية وثقافة https://2u.pw/WfR0s
- Iurlock(e.b):Clinical neurology) ivingstone LTD,edimburgh . نقلا عن موقع تربقافة تربية وثقافة https://2u.pw/WfR0s

Abstract

Linguists have spoken a lot about the issue of the genesis of language and the origin of languages, and each linguist claimed that their language is the original, depending on texts from heavenly books according to what they believe or profess. They further said that theirs is the language of Paradise and that it is what Adam (Peace be upon him) spoke. They consider it a merit to their language before all other languages. This is what we found among Arab scholars as well as the scholars of other nations like Syriacs and others. It seems that there are many motives behind this claim of originality, and that will be discussed when we tackle the opinions of old and modern Arab scholars later. We will approach these opinions linguistically depending on the opinions of Chomsky, which he put forward in his Transformational Generative Theory. The issue of the origin and differences between languages will be approached by the Qur'an, which disclaims that Arabic language or any other language is the first one. Rather, the difference is the origin and is the feature of all languages. Indeed, God Almighty made the difference of languages one of His signs that He created in the beginning and it is as great as the creation of the Heavens and the Earth. The research will prove that the difference is not a merit of language, but a natural state, and that there is no need to have only one language, trying to reconcile what was brought by modern linguistics and what came in the Holy Qur'an. The research concludes with the results, asking God Almighty to grant success.

Keyword

Genesis, origin, language, system, symbols, Chomsky